

الرد على ابن السبكي في طعنه على ابن حزم

للشيخ العلامة محمد بوخبزة

المصدر : الموقع الرسمي للشيخ العلامة محمد بن الأمين بوخبزة

قال الشيخ في جراب السائح (١٦٨-١٦٩)

قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى (٣/٣٤٧):

ابن حزم رجل جرى بلسانه متسرع إلى النقل بمجرد ظنه هاجم على أئمة الإسلام بألفاظه وكتابه هذا الملل والنحل من شر الكتب وما برح المحققون من أصحابنا يnehون عن النظر فيه لما فيه من الإزراء بأهل السنة ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبت عنهم والتشنيع عليهم بما لم يقولوه وقد أفرط في كتابه هذا في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وكاد يصرح بتكفيره في غير موضع وصرح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة والذي تحققته بعد البحث الشديد أنه لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه فصدقها بمجرد سماعه إياها ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع وقد قام أبو الوليد الباجي وغيره على ابن حزم بهذا السبب وغيره وأخرج من بلده وجرى له ما هو مشهور في الكتب

قلت: وهذه شهادة عوراء ، وسوأة برصاء، وابن حزم من أفراد الدنيا الذين حفظ الله بهم الدين، وأقام الحجة على المعاندين، وكتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) الذي عابه السبكي ووصفه بكونه من شر الكتب هو من أجل الكتب وأنفسها وأوفاهها بالمقصود وأعظمها في بابه، وقد طبع مرارا ، واعتبره المحققون بحق أول دراسة من نوعها في علم نقد الأديان ومقارنتها ، فيعتبر ابن حزم رحمه الله مؤسس هذا العلم العظيم - علم مقارنة الأديان - الذي أصبح اليوم من أهم العلوم التي تدرس في الجامعات ، وتخصص لها أوسع الدراسات ، وتلقى فيه مختلف المحاضرات، لعظيم فائدته وجليل عائدته.

نعم لأبي محمد رحمه الله وغفر له إفراط في الغض من خصومه، وجرأة على تخطئتهم ، وتسفيه آرائهم، بعبارات لا تحتمل أحيانا ، وذلك لما كان في أخلاقه من ضيق، وفي نفسه من تبرم ناشئ من توتر

أعصابه وقلق، ولكنه رغم ذلك متورع ، مثبت لا يكذب ولا يتساهل كما رماه السبكي ظلما وعدوا.

والشيخ أبو الحسن الأشعري أمره مشكل. ومعلوم أن له أطوارا مر بها في حياته العقديّة. كان في أولها معتزليا محضا، ثم توسط، وأخيرا هدي إلى المذهب الحق مذهب السلف الصالح من الإمام أحمد بن حنبل وأشباهم ، فلعل ابن حزم لم يقع له إلا ما كان عليه في الطور الاعتزالي، ولو اطلع ابن حزم على كتاب الإبانة عن أصول الديانة وقرأ كلامه في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين الذي يصرح فيه بأنه على مذهب السلف، وأنه بريء مما يخالفه لعذره وكف عنه. ولا نخلي أبا محمد رحمه الله من أخطاء وهنات وقع فيها وهو مأجور على كل حال لاجتهاده، وهذا شأن البشر، وكل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وخصومة ابن حزم للمالكية الأندلس وعلى رأسهم أبو الوليد الباجي معروفة، ولم تكن بسبب الأشعري كما يؤخذ من كلام السبكي، وإنما كانت بسبب المذهب الذي تشبث به ابن حزم، وناصره وهاجمه من أجله مخالفه بلهجته القاسية، وسفههم ، وفي طليعتهم المالكية ، وتعصبهم وانحرافهم عن المنهج السوي معلوم، وعداؤهم لأهل الحديث والأثر مشهور، وعند الله تجتمع الخصوم